"لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة"

بقلم: شكري حبيبي

إلى أي مدى علينا كمؤمنين الاختلاط بالناس من حولنا؟ اختلفت الإجابة عن هذا السؤال على مدى العصور والأجيال. ولعلّ الاتجاه الذي ساد الكنيسة أو جماعة المؤمنين الحقيقيين بشكل عام، هو الابتعاد عن المجتمع قدر الإمكان. لا بل إن البعض في القرون الأولى من المسيحية اتجه نحو الانعزال الكامل عن المجتمع، والعيش في أديرة ومناسك منعزلة وبعيدة عن الناس، وهو ما عُرف بالرهبنة. مع العلم أنه كانت للرهبنة في مرحلة معينة من التاريخ فوائد عديدة.

مثال الرب يسوع المسيح

لكن ما هو المثال الذي قدّمه لنا الرب يسوع المسيح؟ فمن إحدى الحوادث الهامة التي سجّلها لنا الوحي المقدس في الإنجيل، نجد الرب يسوع المسيح يدعو متى العشار، والذي كان وكيلاً عن جباية الضرائب الباهظة من شعب بلدته كفرناحوم، يدعوه لكي يتبعه ويصبح تلميذا له. وكان الأمر المفاجئ أن لبّى متى دعوة المسيح، وترك عمله وأصبح تلميذا للمسيح. والجدير بالذكر أن التلميذ متى كتب فيما بعد إحدى البشائر الأربع، والمعروفة بالإنجيل بحسب بشارة متى. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل نجد أن متى دعا المسيح إلى بيته، وأقام له وليمة كبيرة. وبما أن متى كان عشارا معروفا فقد أتى إلى الوليمة التي أقامها للمسيح، الكثير من العشارين زملائه والناس المعروفين بأنهم خطاة. وهذا ما لم يعجب الفريسيين وهم فرقة دينية انعزالية يهودية متطرفة، الذين أبدوا اعتراضهم للتلاميذ. وكان اعتراضهم كيف يجرؤ المسيح الذي يدّعي بالنزاهة والبر على الجلوس والأكل مع هؤلاء العشارين والخطاة؟ وهو اعتراض قد يبدو منطقيا من الناحية البشرية. فلما سمع الرب يسوع المسيح

كلامهم أجابهم قائلا: "لايحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى. فاذهبوا وتعلموا ما هو. إني أريد رحمة لا ذبيحة. لأني لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة." (متى٩:١٢و١٣) أي أكد الرب يسوع المسيح لهم أن هدف مجيئه إلى عالمنا هو هم، هؤلاء الناس العشارين والخطاة. لأن مثل هؤلاء الناس يعترفون أنهم خطاة ومرضى روحيا، وبحاجة إلى العلاج والخلاص. فالمرضى هم الذين يحتاجون إلى طبيب وليس الأصحاء. ولقد أتى الرب يسوع المسيح، الطبيب الحقيقي الوحيد، لكي يقدّم لهؤلاء المرضى الخطاة الرحمة والخلاص، وأتى ليدعوهم إلى التوبة.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

رحمة أم ذبيحة

ولنلاحظ هنا قول الرب يسوع المسيح "إني أريد رحمة لا ذبيحة." وهو عاد بذلك إلى سفر النبي هوشع المألوف لدى الفريسيين (هوشع ٦:٦)، عندما تكلم النبي منتقدا ارتداد بني إسرائيل عن الله، رغم تمسكهم ظاهريا بالطقوس ولاسيَّما تقديم الذبائح. وهكذا كان الفريسيون يحفظون الطقوس، ويطبِّقون الشريعة بشكلٍ حرفي، لكنهم كانوا يهملون هدف الله من هذه الطقوس، ألا وهو البر الحقيقي من الداخل. بينما يريد الله من الإنسان أن يأتي إليه تائباً من كل القلب، فيحصل على الرحمة. وعندها يستطيع أن يكون رحيما وشفوقا تجاه إخوته من بني البشر. لأنَّ التديُّن الحقيقي يجعلنا نتحلى بالتواضع، ونكتشف حقيقة نفوسنا الخاطئة أمام الله، فننظر إلى الآخرين نفس نظرة الله، نظرة الرحمة والشفقة.

إذن إن المثال الذي اتخذه الرب يسوع المسيح يدعونا لكي نختلط مع كل الناس، ومهما كانوا بعيدين، ومنغمسين في الشر والخطية، بهدف إعلان رسالة الخلاص لهم، وربحهم للمسيح. وفي نفس الوقت علينا أن نحذر من الروح الفريسية، روح البر الذاتي، لكي لا تسيطر على حياتنا، فننظر إلى الناس الآخرين باستعلاء، ونحاول تجنبهم والابتعاد عنهم. فنحن مدعوون إلى أن نمارس الرحمة، ونعلن رسالة الخلاص إلى كل الناس من حولنا. ولهذا كتب الرسول بولس قائلا: "كتبت إليكم في الرسالة أن لا تخالطوا الزناة. وليس مطلقا زناة هذا العالم أو الطمّاعين أو الخاطفين أو عبدة الأوثان وإلا فيلزمكم أن تخرجوا من العالم." (١كورنثوس٥:٩و١٠) لكنه تابع كلامه داعيا المؤمنين أن لا يخالطوا أي أخ مدعوا زانيا أو طماعا أو عابد وثن. من الواضح إذن أنه توجد لدينا مهمة صعبة وعظيمة في نفس الوقت، مهمة الاندماج مع الناس الآخرين، ومحاولة ربحهم للمسيح، بوسيلة المحبة والرحمة.

ما هي حدود الاندماج؟

لعل السؤال يبقى ما هي الحدود التي عليّ كمؤمن أن لا أتجاوزها في محاولتي الاندماج مع الآخرين؟ أجابنا الرسول بولس عن هذا التساؤل الهام عندما كتب إلى المؤمنين في كورنثوس قائلا: "لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين. لأنه أية خلطة للبر والإثم. وأية شركة للنور مع الظلمة. وأي اتفاق للمسيح مع بليعال. وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن. وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان. فإنكم أنتم هيكل الله الحي كما قال إني سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً. لذلك اخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسّوا نجساً فأقبلكم. وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لي بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شيء." (٢كورنثوس٦:١٤-١٨) فعن ماذا يتحدث الرسول بولس هنا؟ أو ليس كلامه هذا يناقض ما سبق أن كتبه وذكرناه قبل قليل؟

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

يتحدث هنا الرسول بولس عن النير أو القيد الذي يضعه المؤمن على نفسه مع غير المؤمن، وعن خلطة البر مع الإثم، وشركة النور مع الظلمة، واتفاق المسيح مع بليعال، ونصيب المؤمن مع غير المؤمن، وعن موافقة هيكل الله مع الأوثان. إذن إن الأمر هنا ليس مجرد الاندماج مع الناس غير المؤمنين لمحاولة ربحهم للمسيح، لكنه نير أي قيد وثيق وارتباط كامل ، بين المؤمن وغير المؤمن. ولعل أبرز ما يتجلّى هذا الأمر هو في أمرين إثنين هما: عهد الزواج والشركة في العمل.

أولا: عهد الزواج المقدس

ففي الزواج يرتبط الشاب مع الفتاة في عهد مقدس، فإذا كان أحد الطرفين غير مؤمن، فإن هذا يعتبر نيرا وقيدا يضعه الطرف المؤمن على نفسه. وخلطة للبر مع الإثم، وشركة للنور مع الظلمة، واتفاق للمسيح مع بليعال، وموافقة لهيكل الله مع الأوثان. وإذا كان الزواج هو عهد إلى مدى الحياة، نستطيع أن ندرك حقيقة هذا النير الذي يضعه المؤمن على نفسه. وكم من فتاة مؤمنة أو شاب مؤمن خسرا شركتهما الروحية مع الله ومع المؤمنين، بسبب قبولهما الزواج من شخص غير مؤمن. وهذا لابد أن ينعكس على الأولاد الذين يتربوا في أجواء بعيدة عن الإيمان الصحيح.

ثانيا: الشركة في العمل

إن المؤمن الذي يدخل في شركة عمل مع غير المؤمن، يكون أيضا كمن يضع نفسه في نير أو قيد. فشركة العمل، لا تعني الشركة في المال والإدارة فحسب، بل الشركة في طرق الاحتيال والخداع. ومن الصعب أن نجد إنسانا غير مؤمن نزيها وصادقا في عمله. وعندها سيضطر المؤمن أن يجاري شريكه في العمل، وإلا خسر شركته. وهذا لابد أن ينعكس على حياته الروحية، وعلاقته مع الله، وشركته مع الاخوة المؤمنين.

إذن إن المقصود بالخروج من العالم والانعزال عنه في كلام الرسول بولس هنا ، هو عدم وضع المؤمن نفسه في قيد، أو الارتباط في عقد مع غير المؤمن. بينما علينا في المقابل كمؤمنين أن نندمج مع العالم لكي نعلن لهم رسالة الخلاص، رسالة المحبة، ونربحهم للمسيح.

يا ليت شعار كل واحد منا كمؤمنين في هذه الأيام، هو أن نردد مع ربنا ومخلصنا يسوع المسيح: "**لم آت لأدعو أبرارا بل خطاة إلى التوبة.**"

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service